فقه أهل البيت عليهم السلام

فصليّة فقهيّة متخصّصة

ملف خاص

شرف الدين مساهمات تأسيسية في الفقه المقارن

- شرف الدين- السيرة الذاتية
- لماذا فقه أهل البيت؟
- شرف الدين و المباني الفقهية للوحدة
- فقه الخلاف عند شرف الدين- إرث النبي نموذجاً
- منهج شرف الدين في نقد الفقه السنّي
- فقه الوفاق في تراث شرف الدين
- فقه الخلاف عند شرف الدين- فدك نموذجاً
- شرف الدين و علما الدارية و الرجال
- حوار مع آية الله الگرامي
- عمل الأجير لغير المستأجر
- الاستنساخ البشري

٣٨

العدد الثامن و الثلاثون- السنة العاشرة ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م

العلّامة عبد الحسين شرف الدين

السيرة الذاتيّة

□ الشيخ أحمد عبد اللّه أبو زيد

إذا كان واجباً على الشعوب تكريم عظمائها والاحتفاء بهم، فإنّ من الواجب عليها أيضاً استرجاع ماضي السلف بما يخدم مستقبل الخلف، متحرّرةً من أيّ شعورٍ قد يلجئها إلى التقيّد الحرفي بمناهج الماضين ومشاربهم، فإنّ لكلّ زمنٍ أخلاقاً ومقتضيات، والأُمم الصاعدة هي الأُمم التي تقرأ ماضي أسلافها وتزيد عليه درجة، مستفيدةً في ذلك من مغانمه متجنّبةً هفواته.

وقد أردنا من خلال هذه السطور المعدودة إلقاء نظرة تأريخيّة مستعجلة على تاريخ العالِم العامل المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين ﷺ محاولين التعريف به ولو بشكلٍ لا يوفّيه حقّه ضمن سبعة مفاصل رئيسيّة، تاركين الوقوف على تفاصيل حياته إلى أُمّهات الكتب التي دوّنت في هذا المجال.

حلقة من السلسلة الذهبيّة

يرجع السيّد عبد الحسين شرف الدين في نسبه إلى الإمام الكاظم عليه السلام، يتوسّطهما اثنان وثلاثون رجلاً اشتهر أكثرهم على مرّ العصور بالعلم والنبوغ

والتقوى والورع، حتّى اتّفق جماعةٌ على توصيف سلسلة النسب التي تصل آل الصدر وشرف الدين بالإمام الكاظم عليه السلام بالسلسلة الذهبيّة، وذلك لعظيم ما اتصفوا به من ناحية وما قدّموه لأُمّتهم من ناحيةٍ أُخرى. وقد توزّع فحول هذه الأُسرة على عواصم العالم الإسلامي، فلم يخلُ منهم جبل عامل ومكّة المعظّمة والمشهد الرضوي وأصفهان وكربلاء والكاظميّة.

أمّا السيّد شرف الدين فهو: عبد الحسين بن يوسف بن جواد بن إسماعيل ابن محمّد (الثاني) بن محمّد بن إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين إبراهيم ابن نور الدين علي بن علي نور الدين بن الحسين عزّ الدين بن محمّد بن الحسين بن علي بن محمّد بن عبّاس تاج الدين أبي الحسن بن محمّد شمس الدين بن عبد اللّه جلال الدين بن أحمد بن حمزة أبي الفوارس بن سعد اللّه أبي محمّد بن حمزة (القصير) أبي أحمد بن محمّد أبي السعادات بن عبد اللّه أبي محمّد بن محمّد الحارث أبي الحرث بن علي (ابن الديلميّة) أبي الحسن بن عبد اللّه أبي طاهر بن محمّد (المحدّث) أبي الحسن بن طاهر أبي الطيّب بن الحسين (القطعي) بن موسى (أبي سبحة) بن إبراهيم المرتضى الأصغر ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ابن الإمام محمّد الباقر عليه السلام ابن الإمام علي زين العابدين عليه السلام ابن الإمام الحسين الشهيد عليه السلام ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام [1].

وفيما يلي ترجمة مقتضبة لأهمّ شخصيّات الأُسرة، وهي ـ مع ذلك ـ تؤكّد صحّة ما قدّمناه حول تميّز شخصيّات هذه الأُسرة عبر العصور المختلفة [2]:

إبراهيم المرتضى: وهو ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، أُمّه أُم ولد نوبيّة اسمها نجيّة. والتحقيق أنّه إبراهيم الأصغر، وهو ممّن أعقب من أولاد الإمام الكاظم عليه السلام بلا خلاف.

موسى بن إبراهيم (أبو سبحة): ويقال له: موسى الثاني، ويكنّى أبا الحسن، كان من الزهّاد والعبّاد وكان كثير الذكر، وقد اتّخذ سبحةً للذكر فقيل له «أبو سبحة» لذلك.

الحسين القطعي: وكان الحسين القطعي يحفظ القرآن، وقد رشّح للخلافة ببغداد سنة (٣٣٤ هـ).

طاهر (أبو الطيّب): يبدو أنّه يُعرف بأبي الحسن وبأبي الطيّب، كان نقيباً في بغداد، وهو جدّ بني أبي الطيّب ببغداد. يبدو أنّ خلافاً وقع بينه وبين أبي الطيّب المتنبّي، فهجا الأخيرُ نسلَه المنتسب إليه بشعرٍ لاذع.

عبد اللّه بن محمّد بن طاهر: كان شيخ الطالبيّين، نسب إليه بنو عبد اللّه، كان مقدّماً ببغداد، وكان أزرق العين يقال لولده «بنو أزرق العين».

علي (ابن الديلميّة): أُمّه من سلاطين البويهيّين، يلقّب «علاء الدين». أعقب من ثلاثة رجال وهم: أبو الحرث محمّد والحسين الأشقر والحسن المدعو (بركة).

محمّد (أبو الحرث): وقيل: «أبو الحارث».. أعقب من رجلين هما: أبو طاهر عبيد اللّه وأبو محمّد عبد اللّه.

عبد اللّه (أبو محمّد): انتقل أبو محمّد عبد اللّه إلى الحائر واستوطن فيه، وله عقب هناك يقال لهم: «بنو عبد اللّه». وقد أعقب أبو محمّد من أربعة رجال.

محمّد (أبو السعادات): له عقب بالحائر الشريف يقال لهم: «آل أبي السعادات»، وهم بطنٌ من بني عبد اللّه. خلّف أربعة بنين.

حمزة: يكنّى أبا أحمد، ويميّز عن حفيده بـ«حمزة الأكبر».

حمزة: يكنّى أبا الفوارس، ويميّز عن جدّه بـ«حمزة الأصغر». ويُحتمل أنّ

حمزة هذا كان المحطّة الأُولى في لبنان هو وابنه أحمد، حيث يُقدَّر أنّهما انتقلا إلى منطقة كسروان بين أواخر القرن الخامس الهجري وبين أوائل القرن السادس.

عبد اللّه: يكنّى جلال الدين، وقيل: إنّ جلال الدين اسم أخيه، وله أخٌ اسمه محمّد ولقبه «الصايغ»، وذريّته في النبطيّة الفوقا اشتهروا بآل نور الدين.

عبّاس (تاج الدين): يكنّى أبا الحسن. نسبت إليه العائلة إلى فترةٍ لا بأس بها، فكان يقال للحفيد ولو البعيد: فلان بن أبي الحسن. ويُحتمل أنّه انتقل إلى جبع سنة (١٣٠٥م) (= ٧٠٤ ـ ٧٠٥هـ)، وكان رأس الطائفة في المئة السادسة.

محمّد: ولد في جبع، يروي بلا واسطة عن القطب الراوندي، ويروي عنه السيّد محيي الدين، ذكره الشهيد الأوّل ﷺ في سند الحديث السابع والثلاثين من أربعينه.

عزّ الدين (الحسين): ولد في جبع في جبل عامل سنة (٩٠٦ هـ). قرأ على والد الشهيد الثاني ﷺ، وكان شريكاً للشهيد ﷺ في درسه لدى كثيرٍ من مشايخه. انتقل سنة (٩٢٥ هـ) إلى ميس وقرأ على الشيخ شمس الدين محمّد ابن علي الشامي «ابن مكّي»، وكان السيّد قد تزوّج إحدى بناته فولد له منها السيّد نور الدين علي، وابنة تزوّجها الشهيد الثاني وكانت أحظى زوجاته به. استشهد مسموماً مظلوماً في صيدا في (٩ / رجب / ٩٦٣هـ) (= ١٥٥٦/٥/١٩م)، ودفن في جبع، وصلّى عليه الشهيد الثاني ﷺ في جمٍّ غفيرٍ من المؤمنين، وكان يوماً مشهوداً.

علي (نور الدين): اسمه علي، ولقبه «نور الدين»، وقد غلب لقبه على اسمه فصار يُعرف بـ«نور الدين علي». ولد في جبع في جبل عامل سنة (٩٣١ هـ). قرأ على أبيه ولازم الشهيد الثاني ﷺ الذي علّمه واصطفاه. زوّج

الشهيدُ الثاني ﷺ السيدَ نور الدين كريمته من زوجته الأُولى فوُلد للسيّد منها صاحب «المدارك». وتزوج الشهيد الثاني أُخت السيّد نور الدين. ثمّ بعد شهادة الشهيد الثاني ﷺ تزوّج السيّد نور الدين زوجة الشهيد الثالثة وهي أُمّ صاحب «المعالم»، فولد له منها علي نور الدين. ومن هنا يكون السيّد علي نور الدين بن نور الدين علي أخا السيّد محمّد صاحب «المدارك» لأبيه، وأخا الشيخ حسن صاحب «المعالم» لأُمّه. ويكون صاحب «المعالم» خالاً لصاحب «المدارك».

ولم يعلم تاريخ وفاته، ولكن من المعلوم أنّه بقي حيّاً إلى سنة (٩٩٩ هـ).

نور الدين (علي): اسمه كاسم أبيه، والتمييز بينهما بتقديم اللقب وتأخيره.

ولد في جبع في جبل عامل سنة (٩٧٠ هـ). قرأ على أبيه وعلى السيّد صاحب «المدارك»، والشيخ صاحب «المعالم». وحضر الشيخ الحرّ العاملي ﷺ درسه في الشام لأيّام قليلة وكان الشيخ لا زال صغير السنّ.

انتقل إلى دمشق لنشر مذهب التشيّع، ثمّ ارتحل سنة (١٠٤٠ هـ) إلى مكّة المعظّمة وبقي فيها داعياً إلى اللّه تعالى حتّى وفاته لثلاث عشرة بقين من ذي الحجّة سنة (١٠٦٨هـ) (= ١٦٥٨/٩/١٦م)، وصلّى عليه ولده ودفنه بالمعلّى.

إبراهيم (زين العابدين): اسمه إبراهيم، وقد اشتهر لقبه وهجر اسمه. ولد في جبع في جبل عامل مستهلّ شهر محرّم الحرام سنة (١٠٠٦ هـ). أخذ عن عدّة من شيوخ الإسلام. حجّ بيت اللّه الحرام سنة (١٠٦٤ هـ)، وكان أبوه قد استوطن مكّة المعظّمة فجدّد به عهداً. زار مراقد النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في المدينة وخراسان ثمّ رجع إلى مكّة قبيل وفاة والده في تلك السنة.

عاش بعد أبيه خمس حجج حتّى قضى نحبه في منى في (١١/ذي الحجّة/١٠٧٣هـ) (= ١٦٦٣/٧/١٧م) فدفنه ولده الحسين خلف ضريح أبيه شمالي

مقام جدّتهما أُم المؤمنين السيّدة خديجة عليها السلام.

إبراهيم (شرف الدين): يكنّى أبا محمّد. ولد سنة (١٠٣٠ هـ) في قرية جبع في جبل عامل. قرأ على أبيه وبعض أعمامه وجماعة من أعلام عصره حتّى صار وهو في ريعان شبابه من الأعيان وبرع في شتّى العلوم. انتقل سنة (١٠٧٨ هـ) إلى بلدة شحور وحجّ في تلك السنة بيت اللّه الحرام، وتشرّف بأعتاب النبي صلى الله عليه وآله في المدينة الطيّبة وأعتاب الأئمة عليهم السلام وقفل منها مريضاً، ولم يزل كذلك حتّى لبّى نداء ربّه في شحور مستهلّ صفر سنة (١٠٨٠ هـ).

محمّد: ويكنّى أبا صالح. ولد في جبع في جبل عامل في رجب من سنة (١٠٤٩ هـ). هاجر إلى العراق سنة (١٠٨٠ هـ) بعد وفاة أبيه طالباً للعلم، ثمّ انتقل إلى أصفهان للأخذ عن أعلامها ملازماً الشيخ محمّد باقر السبزواري رحمه الله صاحب «الذخيرة» الذي قرّبه وزوّجه كريمته رغبةً فيه والتي ما لبثت أن قضت بالمرض.

تشرّف سنة (١٠٩٩ هـ) بزيارة الإمام الرضا عليه السلام، فأنزله الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله في داره وأكرمه وأجازه إجازةً مفصّلة وعقد له على كريمته في الرواق الرضوي، وكانت صغيرةً فلم يبنِ بها حتّى أتيا عاملة.

بعد العقد على زوجته بأيّام حجّ بها بيت اللّه الحرام في ثلّةٍ من أعيان خراسان، ورجع من هناك مع الحجّ الشامي نحو عاملة، فدخل شحور في ربيع الثاني سنة (١١٠١هـ) (=كانون الثاني/١٦٩٠م) وله يومئذٍ اثنان وخمسون عاماً، وقد أقام في شحور ثمانية وثلاثين عاماً حتّى توفّي فيها سنة (١١٣٩هـ).

محمّد (الثاني): هو شقيق السيّد صالح من أُمّهما ابنة الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي. ولد في شحور صبح (٢٥/محرّم/١١٢٥هـ) ولأبيه ست وسبعون سنة. وفي فتنة الجزّار سنة (١١٩٩هـ) هاجر السيّد صالح إلى العراق

وبقي السيّد محمّد في شحور معتزلاً في بيته حتّى وافته المنيّة يوم عرفات سنة (١٢١٥هـ).

إسماعيل: أخذ عن أبيه علوم العربيّة والفقه، وأجازه إجازةً مفصّلةً بطرقه كلّها. كان نهّاضاً بأُمور معاشه طالباً للرزق، وما ملكه آل شرف الدين في شحور هو من كدّ ساعده وعرق جبينه. توفّي في شحور سنة (١٢٦٦هـ) عن نحو ثمانين سنة.

جواد: ولد سنة (١٢٢٢هـ)، وتوفّي أوائل جمادى الأُولى سنة (١٢٩٧هـ)، وكان آخر كلامه: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾.

يوسف: ولد في شحور سنة (١٢٦٢) أو (١٢٦٣هـ) حيث تعلّم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والنحو والصرف.

ارتحل إلى جباع سنة (١٢٧٥هـ) طالباً، ثمّ هاجر إلى العراق سنة (١٣٨٥هـ) حيث أنزله السيّد أبو الحسن الهادي الصدر في الكاظميّة خير منزل، وزوّجه ابنته الزهراء، فزفّها ليلة (١٥/شعبان/١٢٨٧هـ) في الليلة نفسها التي زفّ فيها السيّد إسماعيل الصدر شقيقتها.

انتقل إلى النجف سنة (١٢٩٠هـ)، ودرس الفقه على أعلامها، إلى أن ألحّ عليه والده السيّد جواد بالرجوع إلى جبل عامل، فأتاها سنة (١٢٩٧هـ) وحيداً، ولكنّه لم يدرك والده، فرجع إلى العراق مع أخيه السيّد إسماعيل، وحمل زوجته وولده السيّد عبد الحسين، وورد بهما عاملة منتصف شوّال سنة (١٢٩٨هـ).

انتقل إلى طورة سنة (١٣٠٥هـ) لتولّي التدريس، إلى حين انتقال تلامذته إلى النجف الأشرف.

توفّي ليلة الأحد (٢٤/ذي الحجّة/١٣٣٤هـ)، وصلّى عليه نجله السيّد عبد الحسين، ودفن في شحور.

السيّد عبد الحسين شرف الدين..

النشأة العلميّة (٣)

ولد السيّد عبد الحسين شرف الدين مستهلّ جمادى الثانية سنة (١٢٩٠هـ) في الكاظميّة من أبوين يلتقيان في النسب، فوالده السيّد يوسف بن جواد بن إسماعيل بن محمّد الثاني بن محمّد، ووالدته السيّدة زهراء الصدر كريمة السيّد هادي بن محمّد علي بن صالح ـ أخي محمّد الثاني ـ بن محمّد.

بعد وفاة السيّد جواد شرف الدين انتقل السيّد يوسف بزوجته السيّدة زهراء وولدهما عبد الحسين إلى جبل عامل للاستقرار هناك، وذلك بعد عدوله عمّا كان قد عزم عليه من التوطّن في العراق، وقد وردوا عاملة منتصف شوّال سنة (١٢٩٨هـ) ونزلوا في شحور موطن أجدادهم.

في فترة الطفولة أخذ السيّد عبد الحسين أُصول الدين وعقائده عن والديه، وطبعاه وهو طفلٌ على إقامة الصلاة بشروط صحّتها. وقد جوّد السيّد عبد الحسين القرآن الكريم في هذه الفترة على عمّه السيّد محمود ـ وكان حافظاً وقارئاً ـ بعد أن كان قد قرأه في النجف الأشرف على معلّمٍ من الصالحين.

ثمّ أخذ السيّد يوسف يعلّم ولده بنفسه، فأخذ عنه السيّد عبد الحسين علوم العربيّة: الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والأدب العربي، كما أخذ عنه علم المنطق، إضافةً إلى رسالة «نجاة العباد» للعمل على مقتضاها؛ إذ كانت مع حواشيها يومئذٍ مرجعاً للمقلّدين.

وإلى جانب ذلك أخذ السيّد عبد الحسين عن والده كتابي «فقه الإماميّة» و«شرائع الإسلام»، وكان والده يأمره بكتابة دروسه وعرضها عليه، حتّى لم يفت التلميذ الصغير كتابة شيءٍ ممّا قرأه عليه من الدروس العربيّة والمنطقيّة إلّا القليل.

وكان السيّد يوسف قد ألزم نجله حينما كان يدرّسه النحو بقراءة العبارة على العربيّة ثمّ إعرابها ثمّ تفسيرها قبل الدرس في كلّ يوم، وكان يحفظ في كلّ يومٍ بيتين من ديوان الحماسة أو غيره من شعر العرب، فيتلوهما ويفسّرهما بين يديه بعد مراجعة القاموس في حلّ الغريب من مفرداتهما، ولم يكن السيّد يوسف ليعفي ابنه من هذا الأمر أبداً.

وعندما قرأ على والده «شرح ألفيّة ابن مالك» ألزمه بحفظ أبيات الألفيّة، وكان في شهر رمضان المبارك يلزمه بمتابعته في قراءة القرآن الكريم.

ظمأ لا يرويه إلّا العراق

عندما أصبح السيّد عبد الحسين في آخر عقده الثاني، كان قد صار على استعداد للبدء في مشواره العلمي الذي ينتظره في العراق، ومقدّمة لذلك زوّجه والده كريمة أخيه الأكبر السيّد محمّد، وهي أُم أولاده الستّة.

شدّ السيّد شرف الدين رحاله إلى العراق في (٩/ربيع الأوّل/١٣١٠هـ) وبصحبته أخوه السيّد شريف ووالدته وزوجته ووليدته ووصيفة لهم. وقد أبحروا من بيروت إلى إسكندرونة، ومنها مع القافلة إلى حلب فدير الزور فالكاظميّة، وقد استغرقت الرحلة اثنين وخمسين يوماً، فوصلوا إلى الكاظميّة قبيل الفجر يوم (٢/جمادى الأُولى/١٣١٠هـ)، ونزلوا في دار السيّد محمّد هادي الصدر ـ جدّه لأُمّه ـ الذي استقبلهم مع زوجته ونجليه السيّد حسن والسيّد محمّد حسين وكريماته الأربع.

في ظلال حوزة المجدّد الشيرازي في سامرّاء

في تلك الفترة كان السيّد حسن الصدر والسيّد إسماعيل الصدر في سامرّاء ينعمان في ظلال حوزة السيّد المجدّد الشيرازي ﷺ الذي انتقل إلى سامرّاء عام (١٢٩١هـ) لأسباب لم يحسمها المؤرّخون بعد، وقد فضّل هذان السيّدان للسيّد

عبد الحسين الانتقال إليها على الانتقال إلى النجف الأشرف. ولمّا أمضى ذلك جدّه السيّد محمّد هادي الصدر انتقل السيّد إلى سامرّاء حيث أقام سنة واحدة قرأ فيها «شرح اللمعة» على الشيخ باقر حيدر الذي كان يطوي معه في اليوم الواحد ما لا يُطوى في أُسبوع، كما قرأ مباحث الألفاظ من «الفصول» على الشيخ حسن الكربلائي بعد أن رأى السادة أنّه غير محتاجٍ إلى دراسة كتاب «المعالم»، وكان الشيخ الكربلائي شديد الاهتمام بالسيّد شرف الدين، يحضّه على المناقشة ونقض ما يبرمه وإبرام ما ينقضه، وكان السيّد مهدي ابن السيّد محمّد بحر العلوم زميله في درس «الفصول»، وكلّما أتمّا فصلاً من «الفصول» راجعا قانونه في «القوانين» حتّى فرغا من مباحث الألفاظ، وفي عرض ذلك كانا قد أتمّا «شرح التلخيص» ـ «المطوّل» ـ للتفتازاني.

وأثناء إقامته في سامرّاء، كان السيّد شرف الدين يصحب خاله السيّد حسن الصدر صبحَ كلّ يوم جمعة إلى مجلس الشيخ ملّا فتح علي السلطان آبادي، وكان يقصده مجموعة من الأعلام ليستفيدوا من حكمته، منهم: السيّد إسماعيل الصدر، الشيخ الميرزا حسين النوري، الشيخ محمّد تقي الشيرازي، السيّد محمّد الأصفهاني، الشيخ حسن علي الطهراني، السيّد إبراهيم الخراساني، الشيخ حسن الكربلائي، الشيخ الميرزا حسين النائيني ﷺ.

وفي هذه الفترة تتلمذ عليه أخوه السيّد شريف الذي أخذ عنه دروس النحو والصرف في «شرح ألفيّة ابن مالك».

شدُّ الرحال إلى النجف الأشرف

سنة (١٣١١هـ) اندلعت الفتنة في سامرّاء حين تألّبت بعض العشائر فيها على السيّد محمّد حسن الشيرازي ﷺ بتحريكٍ من الوالي حسن باشا العثماني الذي لم يلقَ من السيّد الشيرازي اعتناءً يُذكر أثناء زيارته إيّاه. وقد اتّسعت الفتنة حتّى وصلت إلى بغداد، وتثاقل الوالي عن سماع الشكاوى، بل منع من

إعلام السلطان عبد الحميد بذلك، الأمر الذي دفع بالسيّد الشيرازي إلى إرسال من يمثّله إلى إيران لإعلام السلطان من هناك، وقام بإطلاع الشاه ناصر الدين على الوضع المأساوي الذي حلّ بطلبة العلوم الدينيّة المهاجرين وبسكّان سامرّاء من الشيعة.

وفي هذه الأجواء حاول القنصل الإنجليزي في بغداد استغلال الموقف لصالح دولته ضدّ الحكم العثماني، فعرض خدماته على السيّد الشيرازي الذي طلب منه عدم تدخّل بريطانيا في أمرٍ لا يعنيها؛ لأنّه والحكومة العثمانيّة على دينٍ واحد وقبلة واحدة وقرآن واحد(٤).

وفي خضمّ هذه الفتنة انتقل السيّد عبد الحسين إلى النجف الأشرف ليقضي اثنتي عشرة سنة لم يشتغل فيها بغير العلم، ولم يتعرّف خلالها على أحدٍ سوى طلبة العلم وأهله، ولم يرَ من حواضر العراق وبواديها غير المشاهد الأربعة والكوفة وبغداد وما كان في طريقه إلى هذه البلاد.

وقد مرّ السيّد شرف الدين أثناء ذهابه إلى النجف الأشرف بالكاظميّة لزيارة الإمامين الجوادين عليهما السلام وتجديد العهد بجدّه السيّد هادي الصدر.

وعندما وصل إلى النجف الأشرف وجد أنّ أُستاذه الشيخ باقر حيدر قد سبقه إليها، فدرس عليه «المكاسب» للشيخ الأنصاري على طريقة دراسته «شرح اللمعة» الذي سبق أن أخذه عنه، كما وقف على الشيخ علي باقر، وهو الشيخ علي ابن الشيخ باقر ابن صاحب «الجواهر»، وكان قبلُ قد قرأ عليه العبادات من كتاب «الرياض».

كما قرأ السيّد شرف الدين «فرائد الأُصول» ـ «الرسائل» ـ على السيّد محمّد صادق الأصفهاني أحد تلامذة الشيخ محمّد كاظم الخراساني المبرزين.

وما إن فرغ السيّد شرف الدين من دراسة «الرسائل» عليه حتّى التحق بدرس الشيخ محمّد كاظم الخراساني في الفقه والأُصول، وكان حينها شارعاً

في تأليف كتابه «كفاية الأُصول»، فكان كلّما كتب منها درساً ألقاه على تلامذته، وكان عددهم يربو على ثلاثمئة. ولم يفوّت السيّد شرف الدين حتّى رجوعه إلى عاملة درساً للشيخ الآخوند في الفقه والأُصول، وكان إذا التبس عليه شيء راجع أُستاذه السيّد محمّد صادق الأصفهاني، وربّما راجع الآخوند نفسه.

أمّا في الفقه، فقد حضر عند الشيخ محمّد طه نجف والشيخ أغا رضا الهمداني الذي كان يحضر عنده أُستاذاه الشيخ باقر حيدر والشيخ علي باقر، وكان الشيخ الهمداني منشغلاً بتأليف كتابه الشهير «مصباح الفقيه»، فكان يلقي عليهم صباحاً ما يكتبه ليلاً، وكان السيّد شرف الدين أثناء ذلك كلّه يبحث ما يغمض عليه مع الشيخ علي باقر، وكان ملتزماً بحضور صلاة الجماعة التي كان يقيمها صاحب «مصباح الفقيه»، حيث كان جاره وجار مسجده.

كما حضر السيّد شرف الدين درس شيخ الشريعة الأصفهاني الذي كانت حوزته تربو على المئتين، وقد اهتمّ به شيخ الشريعة وخصّه ببعض المسائل طالباً منه استنباط حكمها، وقد وقف على ما كتبه فيها ونال إعجابه.

وفي أواخر أيّامه حضر السيّد شرف الدين عند الشيخ عبد اللّه المازندراني، ولمّا علم الأخير بأنّ السيّد مشغولٌ بشرح كتاب «التبصرة» طلب منه أن يرفع إليه ما يكتبه في ذلك، وعيّن له وقتاً من كلّ يوم يقرأ عليه شيئاً من شرحه، فيسأله عن دقائقه ويبحث معه في ذلك.

أمّا فيما يرجع إلى السنن وأسانيدها كعلم الدراية وغيره، فقد أخذه السيّد شرف الدين عن الشيخ حسين النوري صاحب «مستدرك الوسائل» الذي بالغ في تربيته والاهتمام به، وقد أجازه إجازة مفصّلة مستهلّ شهر رمضان سنة (١٣١٩هـ).

وكان السيّد أثناء دراسته يرجع في معضلات المسائل إلى جدّه السيّد محمّد هادي وخاله السيّد حسن والسيّد إسماعيل الصدر.

الثمار الوارفة

لقد أسفر تفرّغ السيّد شرف الدين لطلب العلم عن نتائج علميّة مذهلة حدت بكبار حوزة النجف الأشرف إلى الاعتراف له ببلوغ درجة الاجتهاد وهو في مقتبل العمر.

وكانت الإجازة الأُولى الذي حاز عليها ممهورةً بختم أُستاذه الشيخ أغا رضا الهمداني الذي أجازه بإجازة عامّة بتاريخ (١٨/ذي الحجّة/١٣٢٠هـ) جاء فيها: «...فهو ذو ملكة راسخة قدسيّة في استنباط الأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها التفصيليّة، يباح للعوام أن يرجعوا إليه في تلك الأحكام...».

ثمّ تلتها إجازة شيخ الشريعة الأصفهاني بتاريخ (٤/محرم/١٣٢١هـ) التي أكّد فيها على المعنى المتقدّم ناصّاً على أنّه: «... ترقّى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد...».

وقد أعقب أُستاذه الشيخ محمّد كاظم الخراساني صاحب «الكفاية» هاتين الإجازتين بإجازة ثالثة بتاريخ (٩/ربيع الأوّل/١٣٢١هـ)، زاد فيها التأكيد على هذا المعنى مؤكّداً على أنّه: «... مجتهدٌ مطلق، وعدلٌ موثّق، قد أصبح من أهل الذكر الذين ترجع إليه العباد، وترقّى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد» والذي يعرف منزلة الآخوند الخراساني العلميّة يدرك عظيم الحظّ الذي ناله السيّد شرف الدين ﷺ من العلم.

ولم يتردّد بقيّة أساتذته في تأكيد اجتهاده المطلق في طيّات إجازاتهم له، فأجازه الشيخ محمّد طه آل نجف مستهلّ المحرّم الحرام سنة (١٣٢٢هـ) بإجازةٍ جاء فيها: «بلوته فوجدته ذا ملكة قدسيّة في استنباط الأحكام

الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها التفصيليّة..».

ثمّ أعقبها الشيخ عبد اللّه المازندراني بإجازة عامّة أخيرة ذكر فيها أنّه: «... مجتهد مطلق في الأحكام الشرعيّة، جامع لشرائط الإفتاء والقضاء من الاجتهاد والعدالة وغيرها...».

الانضمام إلى سلسلة المجيزين

لقد عرف السيّد شرف الدين ﷺ باهتمامه الشديد بالحديث والدراية عند كلا الفريقين حتّى انضمّ إلى سلسلة المجيزين. ويبدو أنّه كان ذائع الصيت في هذا المجال، الأمر الذي دفع بالكثير من العلماء إلى عدم تفويت فرصة الاتّصال عبره بسلسلة الرواة، فاستجازوه بالرواية فأجازهم، وكان منهم:

السيّد صدر الدين الصدر ونجله السيّد رضا، السيّد حيدر الصدر ونجله السيّد إسماعيل، أخوه السيّد شريف، السيّد علي الصدر ونجله السيّد مهدي، الشيخ مرتضى آل ياسين، الشيخ راضي آل ياسين، الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ موسى شرارة، الشيخ محمّد تقي ابن الشيخ عبد الحسين صادق، السيّد محمّد هادي الميلاني ونجله السيّد نور الدين، الميرزا محمّد الطهراني نزيل سامرّاء، السيّد أحمد الشبيري الزنجاني ونجله السيّد موسى، الشيخ محمّد علي الأُوردبادي، الميرزا علي الزنجاني، الشيخ محمّد حسين المظفّر، الشيخ نور الدين الرشتي، السيّد محمّد سعيد آل صاحب «العبقات»، السيّد محسن النوّاب الهندي، السيّد علي آل السيّد محمّد باقر الهندي، السيّد محمّد حسين الرضوي اللكنهوئي، الشيخ سعادة حسين الهندي، الشيخ عبد اللّه السبيتي، ابنُ أخيه السيّد نور الدين، السيّد محمّد صادق بحر العلوم، الشيخ محمّد رضا الطبسي، السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، السيّد علي اللكنهوئي، الشيخ عبّاس قلي الجرنداني الواعظ التبريزي، السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي، الشيخ محيي الدين المامقاني، السيّد محمّد علي

الروضاتي، الشيخ حسين آل واعظ الخراساني، السيّد مصطفى الخونساري، السيّد عبّاس الميلاني، السيّد أبو الحسن التبريزي، الشيخ جعفر الإشراقي التبريزي.

كما استجازه من أهل السنّة: أبو الفيض أحمد بن محمّد الصدّيق الغماري الحسني الإدريسي، وأخواه المجد عبد اللّه وأبو اليسر عبد العزيز محمّد سعيد دحدوح.

ومن العلويّين: الشيخ سليمان أحمد والشيخ عبد اللطيف إبراهيم مرهج.

وهذا إن دلَّ على شيء فهو يدلُّ على مقامه المرموق في هذا الفنّ حتّى عند المذاهب الأُخرى.

نشاطه الاجتماعي في جبل عامل

العودة إلى الوطن

عندما تحقّقت آمال السيّد يوسف شرف الدين في ولده السيّد عبد الحسين أجمع على إرجاعه إلى عاملة، ولم يكن بدٌّ من تنفيذ عزيمته، فشدّ السيّد عبد الحسين رحاله إلى عاملة في (٩/ربيع الأوّل/١٣٢٢هـ) بعد أن أمضى في العراق اثنتي عشرة سنة بالتمام لم تزد يوماً أو تنقص يوماً، وكان معه في سفره أخوه السيّد شريف ووالدته السيّدة زهراء إضافةً إلى أولاد أبيه، وقد قاموا بتوديع أهليهم في الحائر الحسيني والكاظميّة.

وما إن قارب الموكب دمشق حتّى كان في استقباله السيّد يوسف شرف الدين ومعه أخوه السيّد إسماعيل مع ولده السيّد عبد اللّه، وأخوه الثاني السيّد حسين مع ولده السيّد محمّد. هذا إلى جانب السيّد محسن الأمين والشيخ محمود مغنية.

وقد أنزله السيّد محسن الأمين عنده، حيث زاره أرحامه من آل مرتضى في الشام. ولمّا زاره أهل شحور قادمين من لبنان رجع معهم إلى عاملة، وخرج معه السيّد محسن الأمين ووجوه المؤمنين إلى خارج دمشق.

وفي بانياس كان في انتظارهم جموعٌ من المستقبلين قام بحشدهم الشهم «بن العرقاوي» رئيس البلدة، ثمّ سار معه في الجمع حتّى أتوا عديسة حيث كان في استقبالهم السيّد علي محمود الأمين والسيّد نجيب فضل اللّه والسيّد حيدر مرتضى وصنوه السيّد جواد والشيخ حسين مغنية، وكان معهم كامل بك أسعد الذي أنزلهم على مائدته. ومن بعد ذلك توجّهوا إلى شحور حتّى نزلوا بها مستهلّ جمادى الثانية سنة (١٣٢٢هـ) في جموع المستقبلين. وقد ألحّوا على السيّد شرف الدين بالائتمام به، فلم يجد عن ذلك مندوحة. وقد اكتظّت شحور في تلك الليلة بالوفود المهنّئة بالعودة سالماً، وأُلقي فيها العديد من القصائد.

صور.. منطلق النشاط الاجتماعي

في شحور تثاقل السيّد عبد الحسين عن التصدّي للأُمور العامّة فيها رغم الإلحاح الشديد الذي كان يبديه والده، وكان ذلك احتراماً منه لوالده وتعظيماً لمقامه، إلى أن أتى أهل صور يلتمسون من السيّد عبد الحسين أن ينزل في ظهرانيهم، فرحّب والده السيّد يوسف بذلك ولبّى طلبهم.

وفي منتصف ذي الحجّة (١٣٢٥هـ) انتقل السيّد عبد الحسين إلى صور، حيث أنزله الحاج محمّد بحسون في داره وأخلاها له، إلى أن تيسّر انتقاله إلى دارٍ أُخرى في (١٨/ذي الحجّة/١٣٣٢هـ).

وحيث لم يكن يومئذٍ في صور مسجدٌ تقام فيه صلاة الجماعة وتلقى فيه الدروس، فقد كان السيّد شرف الدين يستفيد من بيوت المؤمنين تباعاً، وظلّ يستصرخ أهل صور ويحرّكهم من أجل سدّ هذا الفراغ إلى أن تبرّع الحاج سليمان الرزّ بداره، ولكنّ السيّد ألزمه بقبض ثمنها (٢٠٠) ليرة عثمانيّة

ذهباً، ووقفها حسينيّةً وشرع في العبادة فيها يوم الغدير سنة (١٣٢٦هـ).

بيوتٌ أذن اللّه أن ترفع..

كان السيّد شرف الدين يخطّط لبناء مسجدٍ في مدينة صور، فكتب إلى السلطان العثماني محمّد رشاد حول قطعة أرض تحت يد العثمانيّين تقع خارج صور في ثلاثة عشر دونماً، فلمّا أجابه بنى فيها مسجداً على نسق مسجد الجزّار في عكا. وما إن قامت قواعده حتّى نشبت الحرب العالميّة الأُولى سنة (١٣٣٢هـ) فانشغلوا بويلاتها عن كلّ شيء.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها سنة (١٣٣٦هـ) وتسنّم الفرنسيّون الأمر، استولوا على أرض المسجد إثر تحريض المحرّضين وبحجّة أنّ حكمها حكم ما ورثته الحكومة الفرنسيّة عن الدولة العثمانيّة بعد انجلائها، ولم يأبهوا لرسالة السلطان محمّد رشاد وغيرها، وأصرّوا على مصادرتها فصُرف النظر عنها موقّتاً.

بعد هذه الحادثة تبرّع الحاج حسين بن جعفر وحيد بداره في الصدر من ساحة صور ووقفها مسجداً بمياهها الغزيرة، فاشتروا داراً إلى جانبها وهدّوا الدارين وبنوا مسجداً فرغوا منه سنة (١٣٤٧هـ)، ثمّ تبرّع ببناء المنارة علي أفندي فرحات، فأُلحقت ببناء المسجد بعد سنتين.

في فاجعة الحرب العالميّة الأُولى

عندما نشبت الحرب العالميّة الأُولى عام (١٩١٤م) (١٣٣٢هـ) أصدرت السلطات العثمانيّة أمراً بسوق رجال البلاد إلى الحرب، ولم يعفَ من ذلك سوى رجال الدين من المذاهب الإسلاميّة الأربعة ورجال الدين المسيحيّين، وكانت أسماؤهم مدرجة عند الدولة لأنّهم يتقاضون رواتبهم منها. أمّا رجال الدين الشيعة فلم يكن أمر تعيينهم بيد الدولة، فلم يكونوا مشمولين لقرار

الإعفاء.

هنا عمل السيّد عبد الحسين شرف الدين مع علماء الطائفة من قبيل السيّد نجيب فضل اللّه والشيخين حسين ومحمود مغنيّة على استصدار إعفاءٍ لرجال الدين الشيعة، فطُيّرت الكتب والبرقيّات إلى السدّة السلطانيّة ورئاسة الوزراء العثمانيّة ووزير الحربيّة أنور باشا وجمال باشا الجزّار، إلى أن أرسلت وزارة الحربيّة برقيّةً تقرّ فيها إعفاء أئمّة مساجد الشيعة من التجنيد بمجرّد قرار إداري في تصديق إمامتهم وإن كان متأخّراً عن إعلان الحرب.

أمّا فيما يتعلّق بكارثة الجوع التي حلّت بالبلاد يومذاك، فقد دأب السيّد شرف الدين على استنهاض همم الموسرين بما أُوتي من طاقة، حتّى لبّى دعوته طائفة من المؤمنين، فراحت تتوالى عليه الأخماس والزكوات والأثلاث التي كان يخلّفها الموتى بحسب العرف السائد في ذلك الحين، وقد انتدب السيّد شرف الدين من يمثّله في توزيع هذه الغلّات بالعدل إلى جانب الباذل أو من ينوب عنه، وقد ترك ذلك أثراً حسناً وساعد في صمود الأهالي.

وإلى جانب ذلك عمل السيّد شرف الدين على إطلاق سراح مجموعة من المؤمنين كان رئيس مصلحة التجنيد في صور «زكي جماعة» قد نصب المشانق لإعدامهم، من قبيل: الشيخ عبد اللّه مروّة وفيّاض حسن طالب وعلي ماضي وغيرهم. وقد سعى السيّد يوسف شرف الدين لاحقاً من أجل عزل زكي جماعة ونجح في ذلك.

كما إنّ السيّد شرف الدين تشفّع من أجل إطلاق سراح نيّفٍ وثلاثين شخصاً كانوا معتقلين في «بيت الدين» بأحكام مختلفة أقلّها عشرون سنة، فأطلق سراحهم.

مشاريع شاخصة.. المدرسة الجعفريّة ومدرسة الزهراء عليها السلام:

كان السيّد شرف الدين يرى حال المتخرّجين من المدارس العصريّة آنذاك، وكان يأسف على افتقاد المؤمنين لهذه الصروح التربويّة، فصمّم بعزم على إيجاد البديل الذي يحقّق هدفين في آن، أوّلهما: تربية الناشئة على العلوم العصريّة وعدم حرمانهم منها، والثاني: الحفاظ على دينهم بل وتنمية الحسّ الديني لديهم من خلال مؤسّسات تواكب نموّهم بشكل مدروس.

ومن هنا انقدحت في ذهن السيّد شرف الدين فكرة تأسيس المدرسة الجعفريّة، وكان ذلك سنة (١٣٥٧هـ) (=١٩٣٨م)، ولكنّ الميزانيّة الماليّة كانت ضعيفة، فبدأ المشروع في غرفتين في منزل السيّد شرف الدين نفسه، ثمّ أُلحقت بهما ثالثة، إلى أن انتقلت قبيل الحرب العالميّة الثانية إلى بناءٍ كان قد شيّده خصّيصاً لذلك على بوّابة صور مكان التلال الرمليّة الكثيفة، وكم شوهد السيّد شرف الدين يحمل الرمال بنفسه على منكبيه ليثير حميّة الناس، إلى أن ولدت الجعفريّة لبنةً لبنة، وغرفةً غرفة، وقد رعى أُمورها السيّد جعفر نجل السيّد شرف الدين بتكليفٍ من والده.

ثمّ حلّت الحرب العالميّة الثانية التي صرفت الناس كلّاً إلى همومه عن هموم إخوانه، الأمر الذي انعكس سلباً على بناء الجعفريّة.

وما إن وضعت الحرب أوزارها حتّى تجدّد العمل على تطوير الجعفريّة، وقد تزامن ذلك مع العمل على بناء نادي الإمام الصادق عليه السلام الذي خصّص لإقامة الشعائر الدينيّة والاجتماعيّة المختلفة، وقد قامت فوقه صفوف أُلحقت بالجعفريّة حتّى بلغت الشهادة المتوسّطة «البريفيه».

وإلى جانب الجعفريّة، أسّس السيّد شرف الدين مدرسة الزهراء عليها السلام لتربية الناشئة من الفتيات، وقد أقام المدرسة في بيته، ولكنّ المشروع لم يستمرّ طويلاً حيث تمّ إقفالها في (١٩٤٢/١٠/١٢م) بأمرٍ من رئيس الوزراء اللبنانيّ

سامي الصلح، وقد احتجّ السيّد شرف الدين على هذا الإجراء القمعي الذي لا يجوّزه شرعٌ ولا قانون، ولكن لا حياة لمن تنادي.

وبعد أن ضاقت الجعفريّة بأهل صور الذين تقاطروا عليها، أرسل السيّد شرف الدين نجليه صدر الدين وجعفراً مطلع العام (١٩٥٠م) إلى بلاد المهجر في إفريقيا من أجل جمع التبرّعات اللازمة لبناء صرح الكليّة الجعفريّة التي تبرّع بتصاميمها الفنيّة المهندس سعيد حجّال، كما قام السيّد شرف الدين بنفسه بزيارة إلى أغنياء بيروت لحثّهم على المشاركة في هذا المشروع.

وسرعان ما بدأت معالم الكليّة تظهر للعيان، وما انقضى عامها الأوّل حتّى كان بناء الصرح الكبير يكتمل بطوابقه الثلاثة وجناحيه الاثنين وبرجه الشامخ، وقد أسمى السيّد شرف الدين المبنى الجديد «بناية المهجر» اعترافاً بجهود ومساعي أبناء المهجر الذي كان لهم الفضل الكبير في إنجاز هذا المشروع.

وما إن أطلّ عام (١٩٥١ ـ ١٩٥٢م) حتّى فتحت أبواب الكليّة لتستقبل طلّابها من أبناء المقيمين والمهاجرين.

وقد عمد السيّد شرف الدين لاحقاً إلى إرسال ولده جعفر إلى إفريقيا مرّتين عام (١٩٥٤) وعام (١٩٥٦م) لأجل جمع التبرّعات وسدّ ديون الكليّة، حتّى اطمأنّ إلى مستقبلها، وكانت بالفعل تحصد أفضل النتائج عند وزارة التربية اللبنانيّة.

جهاده السياسي

حطّ السيّد شرف الدين رحاله في جبل عامل والدولة العثمانيّة تلفظ أنفاسها الأخيرة في المنطقة، وكان منشغلاً في أيّامها الأخيرة بتثبيت قدميه في منطقته تمهيداً لانطلاقة نشاطه السياسي والاجتماعي.

وما إن عصفت بهذه الدولة رياح الحرب العالميّة الأُولى حتّى ألجأها وضعها في المنطقة إلى ممارسة المزيد من الاستبداد الذي راحت تمعن فيه يوماً بعد آخر.

وكم كان السيّد شرف الدين ﷺ يرجو زوال هذا الكابوس عن المنطقة، وقد قابل إجراءات هذه الدولة بصبر وثبات، وبذل قصارى جهده في إخفاق ما بيده إخفاقه من مخطّطات، فأعتق من حبال المشنقة من أعتق ووقف في وجه الإجراءات التعسّفيّة التي لوّنت البلاد بلون الدم.

في بداية عهد الفرنسيّين

وبعد نهاية العهد العثماني وانتهاء فلسطين إلى أيدي الإنجليز ودمشق إلى أيدي الملك فيصل، كان الاتّجاه في جبل عامل هو أن يكون الجبل تحت حكم الأمير فيصل كذلك، وقد تمّ التمهيد لذلك عبر إنشاء حكومات محليّة في المناطق باسم الملك حسين الهاشمي، فكان الحاكم في بيروت شكري الأيّوبي وفي صيدا رياض الصلح، وأُنشئت ثالثة في مدينة صور.

لقد رفض العامليّون الاحتلال الفرنسي وأعلنوا عن رفضهم هذا مطيّرين البرقيّات إلى مختلف المناطق يعبّرون فيها عن آمالهم في جلاء فرنسا عن بلادهم، إلى جانب ما كانت تكتبه الصحف في بيروت ثمّ دمشق بعد أن سيطر عليها الفرنسيّون وكمّوا صوتها، هذا إضافةً إلى الرفض الواضح الذي قوبل به رجال السياسة الفرنسيّون كما حدث في صور وشحور عدّة مرّات أثناء إقامة السيّد شرف الدين فيهما شتاءً وصيفاً. وكان الملك فيصل يومئذٍ في جنيف وباريس يسعى إلى إقامة الحكومة العربيّة المستقلّة.

مع لجنة كينج ـ كراين

ولمّا جاءت اللجنة الأمريكيّة كينج ـ كراين إلى سوريا ولبنان لاستطلاع

الآراء حول حكم البلاد زارت مدينة صور فيما زارت من المدن والتقت بالسيّد شرف الدين والشيخ حسين مغنيّة بتاريخ (٥/شوّال/١٣٣٧هـ) (= ١٩١٩/٧/٤م) بتفويضٍ حظيا به من عيون البلاد، وقد بادر الشيخ مغنيّة إلى تفويض السيّد شرف الدين بالحديث وذكر للّجنة أنّ ما يراه هو رأيه.

ولمّا تسلّم السيّد شرف الدين زمام الحديث عبّر للّجنة عن عدم رضا الأُمّة بغير استقلال سوريا التام الناجز بحدودها الطبيعيّة التي تضمّ قسميها الجنوبي «فلسطين» والشمالي «لبنان» وكلّ ما يعرف ببرّ الشام دون حماية أو وصاية، وذلك على أن تكون الدولة مَلَكيّة ذات عدالة ومساواة يستوي فيها جميع الناس في الحقوق والواجبات، وعلى أن يكون الأمير فيصل بن الحسين مرشّح العرب الطبيعي لملك سوريا، وفنّد ما تدّعيه فرنسا من حقٍّ في بقاع سوريا. ولم يمانع السيّد شرف الدين من الأخذ بالطريق الذي كان الرئيس الأمريكي ولسون قد فتحه.

وكان من نتائج هذا الاجتماع تصعيد الموقف مع الفرنسيّين.

ردّة فعل الفرنسيّين

وفي ضحى يوم الثلاثاء (١٢/ربيع الثاني/١٣٣٧هـ) (= ١٩١٩/١/١٤م) اقتحم ابن الحلّاج ـ وهو رجلٌ من رجال الأمن العام يدعى جبران ـ بيت السيّد شرف الدين مع جنديّين فرنسيّين وكانوا جميعاً مسلّحين، وذلك بهدف الحصول على وثيقة التفويض العام التي حصل عليها السيّد من وجوه البلاد ووثائق تخويل الملك فيصل بالتكلّم باسم العامليّين في عصبة الأُمم.

ولمّا دنا ابن الحلّاج من السيّد شرف الدين وصار منه على بعد خطوة ـ وكان مسلّحاً شاهراً مسدّسه ـ ركله السيّد برجله ركلةً ألقته على ظهره، فسقط المسدّس من يده، ثمّ أوسعه ضرباً بالحذاء على وجهه ورأسه، وعلت صيحات النسوة في الدار والتمّ الناس حول البيت وفرّ الجند مهزومين.

لم تمرّ الحادثة دون ردّة فعل، فما إن شاع الخبر في البلاد حتّى تقاطرت الوفود من الساحل والجبل مستنكرةً ما حدث، وجاء حاكم صور متنصّلاً ممّا وقع، ولمّا انصرف أشرف السيّد شرف الدين على الجماهير وتحدّث فيهم شاكراً مشاعرهم ومواقفهم طالباً منهم الانصراف حتّى حين.

وبعد انعقاد مؤتمر الصلح في لندن بتاريخ (١٩٢٠/٤/٢٤م)، رجع الأمير فيصل مارّاً ببيروت، فألقى السيّد شرف الدين كلمةً في ترحابه عبّر فيها عن منزلة فيصل في نفسه ولياقته للأمارة في نظره.

مؤتمر وادي الحجير

تحرّك الثوّار في أنحاء البلاد متمرّدين على الحكم الفرنسي الذي راح يغذّي نار الفتنة بين المسلمين وبين النصارى ممدّاً الطرفين بالسلاح كي تسوء الأوضاع في البلاد وتتّضح حاجتها إلى انتدابٍ يعينها في إرساء أمنها، وكان السيّد شرف الدين منصرفاً إلى جهاده المبني على الخطّة السلميّة التي رأى فيها نجاح قضيّته.

وجاءت رسل العشائر في المناطق الشرقيّة إلى كامل بك الأسعد يخيّرونه بين الوقوف إلى صفّهم في وجه الفرنسيّين وبين الوقوف جانباً، الأمر الذي سيجعله هدفاً لهم قبل أن يكون الفرنسيّون كذلك، فاستمهلهم ليستطلع آراء أعيان البلاد ورجال الدين، الأمر الذي أفضى إلى انعقاد مؤتمر وادي الحجير التاريخي يوم السبت (٥/شعبان/١٣٣٨هـ) (= ١٩٢٠/٤/٢٤م)، وكان الوادي متوسّطاً بين بلاد بشارة وبين الشقيف من عاملة، وفير الماء والكلأ.

احتشد أعيان البلاد في الوادي الذي ضاق بضيوفه، وما إن أطلّ السيّد شرف الدين حتّى علت الأصوات في استقباله إلى أن انحاز إلى صفّ العلماء، وكانت له كلمةٌ في المجتمعين دعاهم في ذيلها إلى الالتفاف حول كامل بك الأسعد.

وقد انتهى الاجتماع في وادي الحجير إلى تأييد مقرّرات المؤتمر السوري في رفض تقسيم سوريا والانتداب الفرنسي وإلى إعلان الدولة العربيّة في سوريا وتتويج فيصل ملكاً عليها.

كما خلص المجتمعون إلى انضمام جبل عامل إلى الدولة العربيّة (الوحدة السوريّة) ومبايعة الملك فيصل على تطهير البلاد من الاحتلال الفرنسي.

هذا إلى جانب المحافظة على النصارى وحقوقهم وحلف اليمين على ذلك.

وانتهى المجتمعون كذلك إلى تفويض كلٍّ من السيّد شرف الدين والسيّد محسن الأمين والسيّد عبد الحسين نور الدين في الحديث مع الملك فيصل في الشام، ودعا السيّد شرف الدين أقطاب الثورة وعلى رأسهم صادق حمزة وأدهم خنجر ومحمود الأحمد إلى تهدئة الأوضاع في البلاد وتأمين النصارى.

الاجتماع بالملك فيصل

ركب الوفد المنتدب القنيطرة إلى دمشق، وقبل وصولهم إلى واسط كان في استقبالهم أميرها محمود بن الأمير محمّد الفاعور الذي جمع رؤساء العشائر وأعلام النهضة العربيّة، ودارت في دار الأمير مباحثات حول حلولٍ للأزمة تباينت فيها القناعات، ففي حين كانت روح الثورة قد أخذت مأخذها من رؤساء العشائر، حاول السيّد شرف الدين إقناعهم بسبيل السلم التي يراها حلّاً للمسألة، الأمر الذي دفع بالثوّار إلى تعليق خطّتهم على مقابلة الوفد مع الملك فيصل.

ولمّا وصل الوفد إلى دمشق ونزل عند الملك فيصل بادره إلى تقديم التهنئة بتنصيبه ملكاً، ثمّ عقدت مجموعة من الاجتماعات حول وضع جبل عامل خاصّةً والقضيّة السوريّة عامّة، وقد تفرّد السيّد شرف الدين في بعضها وشاركها في بعضها الآخر السيّدان محسن الأمين وعبد الحسين نور الدين.

وكان السيّد شرف الدين قد ألقى كلمةً بتاريخ (١٧/شعبان/١٣٣٨هـ) (=٨/أيّار/١٩٢٠م) أمام الملك فيصل في دمشق في حشدٍ من رجالات الثورة وزعمائها باسم الوفد المفوّض من وادي الحجير، وذلك لتقديم مقرّرات المؤتمر للملك فيصل ومبايعته عليها.

وقد تمخّضت الاجتماعات التي عقت مع الملك فيصل عن تقديم المعونة اللازمة إلى الوفد من عتادٍ وجندٍ وأطبّاء، ولكنّ الرأي كان الاحتفاظ بها إلى حين اشتداد الأمر ومناسبة الفرصة.

وكان فيصل قد قدّم إلى السيّد شرف الدين خمسة آلاف دينار مصري، إلّا أنّ إباءه ﷺ منعه عن قبولها، فقام بإرجاعها.

الفرنسيّون يحاولون وضع حلٍّ للمسألة

وفي هذه الأثناء كانت المحنة تشتدّ في جبل عامل، وإثر إثارة الفرنسيّين للنعرات الطائفيّة، وقعت فتنة في عين إبل في (١٦/شعبان/١٣٣٨هـ) (=٨/٥/١٩٢٠م) راح ضحيّتها مئة قتيل ونيّف من أهل تلك البلدة، الأمر الذي انعكس سلباً على مقرّرات دمشق، كما نسب البعض زوراً إلى السيّد شرف الدين فتوى مجاهدة النصارى التي كانت ـ بحسب الشائعة الكاذبة ـ إحدى ثمرات وادي الحجير.

رجع السيّد شرف الدين إلى شحور، وكان قد أوصى أهله بالانتقال إليها قبل مغادرته إلى دمشق، فسيّر الفرنسيّون إليها جيشاً فجر مستهلّ رمضان سنة (١٣٣٨هـ) (=١٩٢٠/٦/٥م)، وقد أحسّت بسعيدة ـ وصيفة السيّد ـ بقدوم الجند فأعلمته بذلك، فلاذ بالفرار إلى غار على شاطئ الليطاني كان قد لجأ إليه جدّه السيّد صالح، فرجع الجيش صفر اليدين. وبعد أن لحقه ثلّة من المؤمنين انتقل السيّد شرف الدين إلى دمشق، وكان الفرنسيّون قد أصدروا في حقّه حكماً بالنفي المؤبّد مع مصادرة ما يملك، وقاموا بإحراق مكتبته في

صور والتي تضمّ ما قد لا يوجد في غيرها، إضافة إلى جملة من المؤلّفات التي قضى في تأليفها زهرة حياته.

وبقي السيّد في دمشق بعد أن التحق به أهله حتّى أتتها الجيوش الفرنسيّة واحتلّتها في (١٩٢٠/٧/٢٦م)، وكان قد غادرها الملك فيصل مع حاشيته. وعلى إثر ذلك انتقل السيد شرف الدين إلى حيفا عن طريق درعا. وفي حيفا زار الملكَ فيصل الذي اقترح عليه الانتقال إلى الحجاز ريثما تنجلي الأُمور، وكتب في ذلك إلى والده الشريف حسين، ولكنّ مرض السيّد محمّد جواد نجل السيّد شرف الدين صرفه عن ذلك، ففرّق أهله في البلاد وانتقل إلى مصر متنكّراً، وقد حدّثه بعضهم بالانتقال إلى الولايات المتّحدة، وجهّز له المارشال اللنبي ما يسهّل عبوره، ولكنّه انصرف عن ذلك ولبث في مصر شهرين، ثمّ انتقل إلى «علما» في فلسطين ليكون قريباً من جبل عامل وأخبارها، ومن هناك عمل على إنقاذ الجبل من كوارث فرنسا، وكان من نتائجه الإفراج عن كامل بك الأسعد وبقيّة الوجوه.

وعندما علم الجنرال غورو بهجران السيّد بلاد عاملة بهذا النحو وعزمه على السفر إلى العراق كره أن يُنسب ذلك إلى عهده، فبعث إليه رسولاً يحمل له الأمان، فكان أن رجع السيّد شرف الدين إلى بلاد عاملة بعد بُعده عنها ثلاثة عشر شهراً وثمانية عشر يوماً.

وصل السيّد شرف الدين إلى بيروت يوم الجمعة (١٨/شوّال/١٣٣٩هـ) (= ١٩٢١/٦/٢٤م) حيث اجتمع بالجنرال غورو وترابو حاكم لبنان الإداري العام، وكان له معهما حديثٌ صريحٌ دفعهما فيه إلى الاعتذار عمّا بدا من الفرنسيّين، كما طلب منهما الإفراج عن المعتقلين في هذه الفتنة، إضافةً إلى العفو عن صادق حمزة والثائرين معه، وقد أوفيا بإخراج المعتقلين ونكثا بإخراج صادق حمزة وصحبه.

وفي صيدا كان في استقباله آل الزين وآل عسيران وآل حلاوي وآل عزّ الدين الذين غصّت بهم دار يوسف بك الزين، ثمّ انطلق إلى صور التي استقبلته وفودها عند أبي الأسود والقاسميّة، وقد دامت مراسم الاستقبال والتهنئة بالعودة ما يقرب من شهرين.

نشاطاته المتفرّقة أعقاب الحرب العالميّة الثانية

في (٢٠/رمضان/١٣٦٠هـ) (= ١٩٤١/١٠/١١م) وجّه السيّد شرف الدين نداءً إلى الدول المتحالفة يطلب فيه أن يكون حلفاء اليوم غير حلفاء الأمس، وجدّد على ضوء ذلك الإصرار على استقلال سوريا بحدودها الطبيعيّة، داعياً إلى إعادة ما اقتطع منها.

ويوم الإعلان عن استقلال لبنان في (١٩٤٦/١١/٢٦م) (= ٧/ذي القعدة/١٣٦٠هـ) أرسل السيّد شرف الدين مذكّرةً إلى ملك بريطانيا عن طريق سفارة بريطانيا في القدس وصف فيها استقلال لبنان الذي أعلنته فرنسا مهزلةً من المهازل التي كانت تمثّلها الحكومة الفرنسيّة، وعبّر كذلك عن رغبته وأُمنيته في توحيد العراق وسوريا بحدودها الطبيعيّة، وإلّا فلا أقلّ من استقلال برّ الشام وعدم تجزئته.

وفي (١٩٤٧/١٢/١٥م) (= ١/محرّم/١٣٦٧هـ) وجّه السيّد شرف الدين نداءً إلى المسلمين والعرب دعاهم فيها إلى الاقتداء بالإمام الحسين عليه السلام في تحمّل المسؤوليّة إزاء القضيّة الفلسطينيّة.

وفي نيسان سنة (١٩٤٨م) (= جمادى الأُولى/١٣٦٧هـ) وجّه نداءً إلى الملك عبد اللّه بن الحسين أكّد له فيه على أنّ ذهاب فلسطين ذهابٌ لريح العرب وعزّ الإسلام.

ولدى انعقاد مؤتمر عمّان من أجل إنقاذ فلسطين في (١٩٤٨/٥/١٥م)

(= ٥/رجب/١٣٦٧هـ) أرسل برقيّة إلى الملك عبد اللّه يحثّ فيها المؤتمر على اتّخاذ إجراءات من شأنها إنقاذ فلسطين.

وعشيّة العدوان الثلاثي على مصر وجّه السيّد شرف الدين نداءً إلى علماء الدين في العالم بتاريخ (١٩٥٦/١٠/٣٠م) (= ٢٥/ربيع الأوّل/١٣٧٦هـ) دعا فيه جميع أبناء الأُمّة إلى المشاركة في دحر هذا العدوان مؤكّداً على أنّ من مات دون حفنةٍ من تراب وطنه فقد مات شهيداً.

نشاطه العلمي والتقريبي

افتتح السيّد عبد الحسين شرف الدين ﷺ مشواره العلمي بكتاب «الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة» الذي فرغ من تأليفه سنة (١٣٢٧هـ)، وقد ظلّت مادة الكتاب وموضوعه محلّ اهتمام السيّد شرف الدين ﷺ إلى آخر حياته. وأدنى إطلالة على آثاره العلميّة كفيلة بتعزيز هذه النتيجة، حتّى أمكن أن يقال: إنّ السيّد شرف الدين قد كرّس حياته العلميّة والسياسيّة في هذا الاتّجاه، حيث كان من ناحية مصرّاً على فتح باب النقاش في المسائل الخلافيّة العقديّة على مصراعيه وعدم التحرّز عن تداول أكثر المواضيع حساسيّةً، ساعياً في ذلك كلّه إلى التعريف بعقائد الشيعة كما هم عليها.

ومن ناحية أُخرى يظهر واضحاً أنّ السيّد شرف الدين كان يؤمن بمجموعة من الضوابط التي ينبغي أن تحكم ثنائية النقاش بين الطرفين، فلم ينجرّ إلى الأساليب الرخيصة في أدوات العرض ولغته وأُسلوبه.

ومن هذا المنطلق افتتح السيّد شرف الدين باكورة أعماله هذه بالنصوص الداعية إلى الاجتماع ولمّ الشمل، ليؤكّد بعد ذلك من خلال روايات أهل السنّة على أنّ من نطق بالشهادتين فدمُه وماله حرام، ثمّ يعرض بعد ذلك ما يؤكّد

هذا المعنى من روايات أهل البيت عليهم السلام.

وهذا الاتّجاه يتجلّى واضحاً في كتاب «المراجعات» الذي حافظ هو الآخر على هذا التوازن بين المبدأين السابقين اللذين حكما تجارب شرف الدين، ولذلك تراه يزاوج بشكل لافتٍ للنظر بين جرأة الطرح وشفافيّته وبين احترام الطرف الآخر وعدم إخراجه عن حريم الإسلام، مسجّلاً في ذلك تجاوزاً واضحاً للآليات التي حكمت - وتحكم - كثيراً من تجارب الحوار أو النقاش.

أمّا أصل موضوع التقريب فيحسم السيّد شرف الدين الموقف منه لصالح التقارب السياسي دون التعدّي إلى ما قد يسمّى بالتنازل العقدي، منطلقاً في ذلك من مبدأ نصّ عليه ومفاده أنّ السياسة هي التي فرّقت، فلابدّ أن تكون هي طريق التآلف وجمع الشمل.

إنّ هذه المبادئ أعلاه تتجلّى واضحةً في مجمل ما كتبه السيّد شرف الدين، وفيما يلي عرضٌ لعناوين ما جادت به أنامله[٥]:

١ - **أبو هريرة** (ط ١٩٤٧م): ترجمة لأبي هريرة من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى زمن معاوية، مع البحث في أربعين حديثاً نقلت عن أبي هريرة من أصل (٥٣٧٤) حديثاً.

٢ - **أجوبة مسائل جار الله** (ط ١٩٣٦م): وهو شيخ الإسلام في بلاد روسية (ت ١٣٦٨هـ). وكان جار الله قد حرّر عشرين سؤالاً في نقض الشيعة وأرسلها إلى علماء الإماميّة في الهند وإيران والعراق.

٣ - **الاحتجاج على قانون الأحوال الشخصيّة في لبنان** (١٩٣٧م): رسالة حرّرها رحمه الله حول قانون الأحوال الشخصيّة في لبنان أيّام الاستعمار الفرنسي، وأرسلها إلى الحكومة اللبنانيّة. وقد أورد في هذه الرسالة اثنتي عشرة مادّةً من مواد القانون وقام بإصلاحها على ضوء الموازين الشرعيّة.

٤ ـ **الأساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة**: شبيهٌ بكتاب «المجالس الفاخرة» ولكنّ الأخير قد لا يُغني عنه.

٥ ـ **الأسئلة والأجوبة (مخطوط)**: وهذه الرسالة عبارة عن جواب عن سؤالين: أحدهما حول أفضليّة السيّدة الزهراء عليها السلام على عائشة، والآخر حول أفضليّتها عليها السلام على سائر النساء.

٦ ـ **اقتراح المناظرة في الخلاف بين أهل السنّة والشيعة (ط ١٩٣١م)**: وهي رسالة أرسلها السيّد رحمه الله إلى الشيخ محمّد رشيد رضا صاحب «المنار»، وفي هذه الرسالة تقدّم السيّد رحمه الله من رضا بطلب تخصيص مجالٍ في مجلّة «المنار» لينشر فيها بعض مقالاته حول المسائل الخلافيّة. وقد استجاب رضا لهذا الطلب.

٧ ـ **إلى المجمع العلمي العربي بدمشق (ط ١٩٥٠م)**: وقد حرّر رحمه الله هذا النصّ في الردّ على اتّهامات رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق علي محمّد كُرد الذي اتّهم بها الشيعة.

٨ ـ **إمارة الحج / نبذ العهد سنة تسع**: حيث يثبت السيّد شرف الدين إسناد الأمرين إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأنّ أبا بكر لم يحضر الموسم في تلك السنة.

٩ ـ **بغية الراغبين في أحوال آل شرف الدين (ط ١٩٩١م)**: وقد حرّر رحمه الله هذا الكتاب في ترجمة أعلام أُسرته وفروعها المختلفة، من قبيل آل الصدر ونور الدين..

١٠ ـ **بغية السائل عن تقبيل الأيدي ولثم الأنامل**: في الردّ على مدّعي حرمة ذلك.

١١ ـ **بغية الفائز في جواز نقل الجنائز / الشهرستاني ونقل الأموات (ط**

١٩١١م): وهو ردٌّ حرّره ﷺ في الردّ على القائلين بعدم جواز نقل الجنائز إلى المشاهد المشرّفة، وعلى وجه الخصوص السيّد هبة الدين الشهرستاني ﷺ الذي نشر حول هذا الأمر مقالاً في مجلّة «العلم».

١٢ ـ **بيّنة الوحي وشهادتها بأنّ عليّاً وشيعته خير البريّة (ط ١٩١٤م)**: وهو بحثٌ حول الآية السابعة من سورة البيّنة، وقد أثبت فيه أنّ عليّاً عليه السلام وشيعته خير البريّة.

١٣ ـ **تحفة الأصحاب**: وهو بحثٌ في حكم أهل الكتاب.

١٤ ـ **تحفة المحدّثين فيما أخرج عنه الستّة من المضعّفين (مخطوط)**: وهو كتابٌ يشتمل على أسماء وأحوال المضعّفين الواردين في الصحاح الستّة مرتّباً بحسب الأحرف الأبجديّة.

١٥ ـ **تعليقة على استصحاب رسائل الشيخ**: وهي تعليقة على بحث الاستصحاب من كتاب «فرائد الأُصول» للشيخ مرتضى الأنصاري ﷺ.

١٦ ـ **تعليقة على صحيح البخاري**.

١٧ ـ **تعليقة على صحيح مسلم**: وهاتان التعليقتان من أنفس ما أخرجه قلم السيّد شرف الدين.

١٨ ـ **تقصير المسافر وإفطاره (ط ١٩٤٩م)**: تعرّض في هذه المقالة إلى البحث عن حكم تقصير المسافر صلاته مبيّناً الاختلاف الحاصل بين الفقهاء حول المسألة.

١٩ ـ **ثبوت الإمامة لعليٍّ بنصّ الكتاب / تفسير آية ﴿ إنّما وليّكم الله ﴾ (ط ١٩١٤م)**: عنوان المقالة التي أثبت فيها السيّد ﷺ إمامة الإمام علي عليه السلام من خلال الآية المذكورة.

٢٠ ـ **تفسير آية المودّة / مودّة أهل البيت فريضة**: عبارة عن تفسير الآية (٢٢) من سورة الشورى.

٢١ ـ **تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة**: مجلّدٌ يشتمل على مئة آية من الآيات النازلة فيهم عليهم السلام تحقيقاً وتدقيقاً.

٢٢ ـ **ثبت الأثبات في سلسلة الرواة (ط ١٩٣٦م)**: عبارة عن رسالة أورد فيها السيّد شرف الدين رحمه الله شيوخه في الإجازة.

٢٣ ـ **الجمع بين الصلاتين (ط ١٩٤٩م)**: حيث بحث السيّد شرف الدين حكم الجمع بين الصلاتين عند مختلف المذاهب الإسلاميّة.

٢٤ ـ **حول أخذ الفداء من الأسرى يوم بدر**.

٢٥ ـ **خرافة الغرانقة / سخافة الزنادقة**: رسالة أثبت فيها بطلان حديث الغرانقة.

٢٦ ـ **الذريعة في نقض البديعة**: بديعة الشيخ يوسف النبهاني البيروتي التي كتبها حول معاوية وفئته الباغية.

٢٧ ـ **زكاة الأخلاق (ط ١٩٠٩ـ١٩١٠م)**: وهي مجموعة مقالات كتبها السيّد شرف الدين رحمه الله في مجلّة «العرفان» تناول فيها مجموعة من المفردات الأخلاقيّة، من قبيل: النفاق، الكذب، العدل، الظلم.

٢٨ ـ **سبيل المؤمنين في إمامة أئمّة الدين**: كتابٌ في ثلاثة مجلّدات يبحث عن الإمامة العامّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاصها بالأئمّة المعصومين عليهم السلام من خلال الأدلّة العقليّة والنقليّة. وقد نشرت مجلّة «العرفان» بعض فصوله، إلّا أنّ الباقي حرق مع ما حُرق من كتبه.

٢٩ ـ **سهم المؤلّفة قلوبهم (ط ١٩٥٤م)**: حيث يبحث السيّد شرف الدين في

الآية (٦١) من سورة التوبة عن المراد من المؤلّفة قلوبهم وهل لهم سهمٌ في الزكاة أم لا؟

٣٠ ـ **شرح التبصرة**: وهو شرح مزجي على سبيل الاستدلال خرج منه كتاب الطهارة والقضاء والشهادات والمواريث في ثلاثة مجلّدات.

٣١ ـ **الصلاة على أهل البيت فريضة (ط ١٩١٤م)**: يبحث السيّد شرف الدين في هذه المقالة حول آية ﴿ **إنّ اللّه وملائكته يصلّون على النبي...** ﴾.

٣٢ ـ **طبقات الرواة**: رسالة مفصّلة في مشايخ الإجازة أوسع من «ثبت الأثبات».

٣٣ ـ عصمة أهل البيت بنصّ الكتاب: يبحث السيّد ﷺ في هذه المقالة عن الآية (٣٣) من سورة الأحزاب لإثبات عصمة أهل البيت عليهم السلام.

٣٤ ـ **عقيلة الوحي**: وقد أصدر ﷺ هذا البحث بمناسبة بناء مرقد السيّدة زينب عليها السلام في الشام بجهود الإيرانيّين.

٣٥ ـ **فريضة ما أدّاها إلّا علي ولم يعمل بها غيره (ط ١٩١٤م)**: يبيّن السيّد ما عليه المسلمون من أنّ في كتاب اللّه تعالى آية لم يعمل بها إلّا علي عليه السلام، وهي آية النجوى.

٣٦ ـ **الفصول المهمّة (ط ١٩١١م)**: وهو كتابٌ مخصّصٌ للبحث في بعض المسائل الخلافيّة بين السنّة والشيعة في مختلف المجالات، وهو أوّل كتاب خطّه ﷺ.

٣٧ ـ **الفضائل الملفّقة والأحاديث المختلقة (مخطوط)**: وهو كتابٌ يبحث عن الروايات الموضوعة في فضائل أبي بكر.

٣٨ ـ **فلسفة الميثاق والولاية (ط ١٩٣٧م)**: وهو عبارة عن أجوبة

حرّرها ﷺ عن الأسئلة الواردة عليه حول آيات الولاية.

٣٩ ـ **الفوائد والفرائد**: وهو مجلّدٌ يحوي مسائل في الفقه وأُخرى في الأُصول ويكشف غوامضها.

٤٠ ـ **القارعة ما القارعة**: وهو عبارة عن البيان التاريخي الذي أصدره السيد شرف الدين بمناسبة هدم قبور أئمّة البقيع عليهم السلام.

٤١ ـ **القراءة في الصلاة** (ط ١٩٤٩م): وقد بحث ﷺ في هذا المقال عن حكم قراءة سورة الفاتحة في الصلاة.

٤٢ ـ **الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام** (ط ١٩٢٨م): وهو في إثبات أفضليّة السيّدة الزهراء عليها السلام على سائر النساء.

٤٣ ـ **كلمة حول الرؤية** (ط ١٩٤١م): مقالةٌ يبحث فيها السيّد شرف الدين حول إمكانيّة رؤية اللّه تبارك وتعالى.

٤٤ ـ **مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام / مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام** (ط ١٩٠٩ ـ ١٩١٠م): وهو كتابٌ يورد فيه السيّد شرف الدين ﷺ أسماء مصنّفي الشيعة منذ وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم حتّى زمان الإمام الهادي عليه السلام، نشر على مراحل في مجلّة «العرفان»، ثمّ طبع مجموعاً عدّة طبعات.

٤٥ ـ **المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة** (ط ١٩١٤م): كتابٌ في أربعة مجلّدات، يتناول الأوّل منها سيرة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، والثاني سيرة أمير المؤمنين والسيّدة الزهراء والإمام الحسن عليهم السلام، والثالث سيرة الإمام الحسين عليه السلام، والرابع سيرة سائر الأئمّة عليهم السلام. وقد فقد الكتاب في فتنة سنة (١٣٢٩هـ) ضمن ما فقد من كتبه، وبقي منه المقدّمة التي كتبها حول فضيلة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، وفلسفة الشهادة. طبع طبعات عديدة.

٤٦ ـ **المراجعات / المناظرات الأزهريّة والمباحثات المصريّة** (ط ١٩٣٦م):

عبارة عن مجموعة مكاتبات (١١٢ رسالة) دوّنها السيّد شرف الدين، وكانت قد وقعت بينه وبين شيخ الأزهر في حينها الشيخ سليم البشري. جمعت وطبعت باسم كتاب «المراجعات»، وقد طبع طبعات كثيرة جدّاً.

٤٧ ـ **المسائل الخلافيّة / المسائل الفقهيّة (ط ١٩٥١م)**: وهو عبارة عن مجموعة من المقالات والرسائل التي كتبها السيّد شرف الدين حول بعض المسائل المختلف عليها بين السنّة وبين الشيعة منتصراً للمذهب الاثني عشري.

٤٨ ـ **منجّزات المريض**: وهي عبارة كتبها في الموضوع المشار إليه.

٤٩ ـ **النص والاجتهاد (ط ١٩٥٦م)**: وهو كتابٌ يتعرّض فيه السيّد شرف الدين إلى بيان مئة موردٍ من الموارد التي اجتهد فيها الخلفاء والصحابة مقابل النصّ.

٥٠ ـ **النصوص الجليّة في إمامة العترة الزكيّة**: وهو كتابٌ يجمع فيه السيّد شرف الدين ثمانين حديثاً حول إمامة المعصومين عليهم السلام، ويورد أربعين منها من طرق السنّة، وأربعين أُخرى من طرق الشيعة.

أسفاره ورحلاته

إلى المدينة المنوّرة

في شهر رمضان (١٣٢٨هـ) تشرّف السيّد مع والدته وجملة من أعيان البلاد بزيارة العتبات المقدّسة في المدينة، وقد انتقلوا إليها من دمشق بواسطة القطار الذي أنشأه السلطان عبد الحميد العثماني، ووصلوا إليه بعد انطلاقهم من الشام بليلتين وثلاثة أيّام، ثمّ رجعوا من تلك الزيارة قبل عيد الفطر من تلك السنة، وكان البناء أن يبقوا إلى موسم الحجّ ولكنّ الظروف حالت دون ذلك.

إلى مصر

وفي أواخر سنة (١٣٢٩هـ) كان السيّد محمّد حسين الصدر ـ خال السيّد شرف الدين ـ في زيارة إلى عاملة، فقرّر وابن أُخته القيام برحلة إلى مصر، فكان أن ركبا الباخرة التي ألقت مراسيها في بور سعيد.

وقد سعى السيّد شرف الدين في زيارته هذه إلى التوغّل في الحياة العلميّة في جامعة الأزهر الدينيّة، فكانت بينه وبين علماء البلاد زيارات ومناظرات. وقد بدأ السيّد شرف الدين جولته هذه بالحضور في دورة الشيخ سليم البشري المالكي شيخ الأزهر يومئذٍ والذي كان يلقي درساً في مسند الشافعي، وكانت تدور بينهما مناقشات حول ما يلقيه الشيخ، الأمر الذي أدّى إلى ترسّخ العلاقة بينهما، وخرجا عمّا كانا فيه إلى المناظرة في أُمور العقيدة، فكانت مناقشةً تتلوها مناقشة حتّى انتهى الأمر إلى ما دوّنه السيّد شرف الدين لاحقاً في كتاب «المراجعات» اعتماداً على ذاكرته، بعد أن كانت الرسائل المجموعة قد أُحرقت فيما أُحرق من كتبه. ولم يلبث السيّد طويلاً حتّى رجع إلى عاملة في جمادى الأُولى (١٣٣٠هـ) (=أيّار/١٩١٢م) بعد أن أجازه علماؤها الثلاثة البشري ومحمّد بخيت ومحمّد السملوطي بإجازات عامّة مفصّلة.

إلى حجّ بيت اللّه الحرام

سنة (١٣٤٠هـ) حجّ السيّد مع ابن عمّه السيّد علي منطلقاً من صور بالباخرة (باركشير) يوم السبت (١٢/ذي القعدة/١٣٤٠هـ) (=١٩٢٢/٧/٨م)، وكان مستأجرها راشد بك عسيران قد أعدّ لهما المحلّ الأوّل منها ذهاباً وإياباً مجاناً. ولم يفوّت السيّد شرف الدين وهو على متن الباخرة القيام بمسؤوليّاته الدينيّة من تفقّد المسافرين الذين كان فيهم نحوٌ من ثلاثمئة من الحجّاج العامليّين، إضافةً إلى إعطائهم دروساً في مناسك الحجّ.

وفي جدّة زاره رئيس حكومتها القائمقام الشيخ عبد اللّه زينل في ثلّة من الوجوه فيهم رئيس البلديّة وناظر الجمرك، وأرسل إليه الملك حسين موفداً

يصحبه إلى أُم القرى مكّة.

وفي مكّة زاره باسم الملك حسين أيضاً وزير الخارجيّة الشيخ فؤاد الخطيب وقاضي القضاة في جماعةٍ من حاشية الملك. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل كان في خدمته رئيس الشرطة وسدنة الحرم الذين كانوا يمهّدون له الطريق. ثمّ خصّه الملك حسين بالمشاركة في غسل البيت الحرام في تلك السنة، إضافةً إلى الموائد التي أقامها على شرفه ودعاه إليها، وكان السيّد شرف الدين خاصّة والشيعة عموماً في سعة من أمرهم بالنسبة إلى نسكهم التي أدّوها وفق مذهبهم دون تضييق أو حرج، وقد جرت بين السيّد شرف الدين وبين بعض العلماء وغيرهم مناظراتٌ في بعض الأُمور الفقهيّة والعقديّة، وقد أمّ السيد شرف الدين جموع المصلّين في الحرم الشريف، وقد عُدّ ذلك من توفيقاته ﷺ.

قبيل المغرب من يوم (١٧/ذي الحجّة/١٣٤٠هـ) غادر السيّد شرف الدين مكّة نحو جدّة في طريقه إلى بيروت، وكان الإبحار منها يوم (٢٤/ذي الحجّة) باتّجاه بيروت التي وصلوها صباح الثلاثاء (٥/محرّم/١٣٤١هـ) حيث أمضوا ثلاثة أيّام في الحجر الصحّي ـ الكرنتينا ـ الذي كان معمولاً به في تلك الأيّام.

وفي صور كانت في استقباله الحشود المهنّئة بالعودة سالماً.

إلى العراق

سنة (١٣٥٥هـ) عزم السيّد شرف الدين على زيارة العراق ليجدّد بها عهداً. وما بلغ هذا الخبر مسامع ابن خاله السيّد محمّد الصدر ـ وكان رئيس مجلس الأعيان يومذاك ـ حتّى أوعز إلى الصحف العراقيّة لزفّ الخبر.

خرج السيّد شرف الدين من صور يوم السبت (٢٦/ذي القعدة/١٣٥٥هـ) (= ١٩٣٧/٢/٦م)، وقد زاره في طريقه السيّدة زينب عليها السلام في الراوية والسيّدة رقيّة عليها السلام في الشام ومشاهد أهل البيت عليهم السلام في مقبرة باب الصغير من الشام والمقام الحسيني قرب الجامع الأُموي.

وصباح يوم الثلاثاء انطلق الوفد نحو العراق، ولمّا وصلوا الرطبة استراحوا نحواً من ساعتين حيث كان في استقباله مفوّض الشرطة محمّد الياسين مهيّئاً أسباب الراحة، ثمّ تابعوا المسير نحو الرمادي حيث كان في استقباله مجموعة من الأعيان والوجوه، ومنهم وفدٌ من بغداد خفّ لاستقبالهم كان منهم: الشيخ محمّد حسن حيدر نائب المنتفك والسيّد محمّد صادق الصدر عضو التمييز الشرعي والسيّد محمّد هادي الصدر والسيّدان محمّد رضا وصدر الدين نجلا السيّد شرف الدين، وكان هؤلاء ضيوفاً على الشيخ علي سليمان.

ثمّ خرج وفدٌ من بغداد لاستقبال السيّد شرف الدين في الفلّوجة، يتقدّمهم السيّد محمّد الصدر رئيس مجلس الأعيان، السيّدان محمّد مهدي الصدر ومحمّد جواد الصدر نجلا السيّد إسماعيل الصدر الكبير، السيّد علي الصدر، الشيخ راضي آل ياسين، إضافةً إلى شيوخ العشائر.

وبعد استقبال السيّد شرف الدين، رجع به الوفد إلى دار السيّد محمّد الصدر في بغداد حيث استراحوا من عناء السفر وتناولوا طعام الغداء، ثمّ توجّهوا إلى الكاظميّة حيث كان أهلها في استقبالهم عند جسر الأعظميّة. وبعد زيارة الإمام الكاظمين عليهما السلام ومقبرة السيّد حسن الصدر قفلوا راجعين إلى منزل السيّد محمّد الصدر في بغداد حيث اختلفت عليهم الوفود المهنّئة، منها موفد الملك غازي وموفد السيّد أبو الحسن الأصفهاني.

ثمّ من بغداد اتّجه السيّد شرف الدين إلى كربلاء في موسم عرفة، وكان في استقباله هناك وجوه العلماء يتقدّمهم السيّد عبد الحسين ابن السيّد علي آل صاحب الرياض والسيّد حسن الحجّة والشيخ محمّد رضا الشيرازي، إضافةً إلى أعيان كربلاء. كما كان في استقباله أيضاً ابنا خالته الشيخان محمّد رضا ومرتضى آل ياسين والسيّد حسين الطباطبائي القمّي.

وبعد انقضاء الموسم في كربلاء انتقل السيّد شرف الدين إلى النجف الأشرف، حيث نزل في دار الشيخ محمّد رضا آل ياسين تؤمّها جماهير

المهنّئين لثلاثة أيّام متوالية، وقد أقامت الرابطة الأدبيّة في عيد يوم الغدير حفلاً أُلقيت فيه القصائد، منها قصائد في استقبال السيّد شرف الدين للشيخ محمّد علي اليعقوبي والسيّد محمود بن الحسين الحبّوبي والسيّد محمّد بن رضا الهندي.

إلى إيران

وعشيّة يوم السبت (٢١/محرّم/١٣٥٦هـ) (= ١٩٣٧/٤/٣م) تحرّك السيّد ورفاق سفره نحو مدينة خانقين الحدوديّة متّجهين إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، فعبروا الحدود عند قصر شيرين ثمّ مرّوا بكرند فكرمانشاه التي ساءهم فيها سفور أهلها، وصولاً إلى أراك التي تركوها صباح الثلاثاء متّجهين نحو قم حيث كان في استقباله ابن خالته السيّد محمّد علي الصدر المعروف بصدر الدين الصدر ـ وهو والد السيّد موسى الصدر ـ ومن قمّ انطلق نحو الري حيث مشهد الشاه عبد العظيم الحسني، وقد استمرّ في سيره حتّى حلّ في خراسان ليلة الأربعاء (٣/صفر/١٣٥٦هـ)، وكان في استقباله حشدٌ من علمائها.

العودة إلى صور

وبعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام عاد السيّد شرف الدين إلى طهران التي احتفى به علماؤها، ولكنّه لم يمكث فيها طويلاً بسبب اضطراب أوضاع البلاد، فتحرّك نحو بغداد التي وصلها مساء الخميس (١٨/صفر/١٣٥٦هـ)، وتحرّك منها نحو صور يوم الإثنين (٧/ربيع الأوّل/١٣٥٦هـ).

غروب الشمس

يوم الإثنين (٨/جمادى الثانية/١٣٧٧هـ) (= ١٩٥٧/١٢/٣١م)، توفّي السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله في مستشفى «أُوتيل ديو» في بيروت عند الساعة الخامسة والنصف صباحاً.

وصباح يوم الثلاثاء تمّ تشييع جثمانه من المستشفى إلى المطار ـ والمسافة بينهما نحو (٧) كلم ـ بهدف نقله إلى العراق ليوارى الثرى في النجف الأشرف، وقد وصل الجثمان إلى المطار عند الساعة الحادية عشرة.

وعند الساعة الحادية عشرة والثلث، أقلعت الطائرة الخاصّة التي تقلّ الجثمان إلى مطار بغداد حيث وصلت عند الساعة الثانية ظهراً. وقد شيّع الجثمان في بغداد والكاظميّة ووصل إلى كربلاء عند الساعة الثانية ليلاً.

ويوم الأربعاء أقفلت كربلاء محلّاتها لتشيّع جثمان الفقيد إلى النجف الأشرف. وعند خان النصف استقبل النجفيّون الجثمان، يتقدّمهم السيّد محسن الحكيم والسيّد الخوئي والشيخ مرتضى آل ياسين والسيّد حسين الحمامي ﷺ، وقد وصلوا إلى النجف الأشرف قبل المغرب وتمّ تشييعه بموكب مهيب لم تشهده النجف سابقاً.

ثمّ دفن السيّد شرف الدين ﷺ في إحدى غرف الصحن العلوي يوم الأربعاء في (١٠/جمادى الثانية/١٣٧٧هـ) (= ١٩٥٨/١/١م) بعد أن صلّى عليه السيّد محسن الحكيم.

وفي اليوم الثالث أقام كلٌّ من السيّد محسن الحكيم ﷺ الفاتحة في مسجد «عمران»، والسيّد عبد الهادي الشيرازي ﷺ في مسجد الشيخ الأنصاري إضافةً إلى مجلسي السيّد حسين الحمامي والسيّد الخوئي ﷺ. وفي الكاظميّة أقام آل الصدر مجلس الفاتحة لمدّة ثلاثة أيّام، وقد استقبل التعازي كلٌّ من السيّد علي الصدر والسيّد محمّد صادق الصدر ﷺ.

وبعد ذلك كتب السيّد جعفر شرف الدين إلى السيّد موسى الصدر ـ وكان في قم بعد عودته من النجف الأشرف ـ رسالةً يدعوه فيها إلى الحلول في لبنان مكان والده ﷺ. فاستجاب السيّد موسى وقدم في أواخر سنة (١٩٥٩م)، ثمّ أقام فيها سنة (١٩٦٠م)[٦].

الهوامش

(١) انظر نسبه عموماً في : أمل الآمل ١ : ٧٩ . تكملة أمل الآمل : ١٠٤ ، ١٠٦ ، ٢٢٤ . خاتمة مستدرك وسائل الشيعة ٢ : ١١١ . تنقيح المقال ٤ : ٤١٤ . بغية الراغبين ١ : ١٢ ـ ١٣ . أعيان الشيعة ١٠ : ١٧ . طبقات أعلام الشيعة ٢ : ٢٨٣ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ . المشجّر الوافي ٣ : ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) اختصاراً من كتاب : محمّد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق للمؤلّف ، مخطوط . وللوقوف على المعلومات التفصيليّة حول شخصيّات الأُسرة ، يُرجع إلى : الإرشاد ٢ : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ . الأصيلي : ١٦٢ ، ١٦٣ . إعلام الورى ٢ : ٣٦ . أعيان الشيعة ١٠ : ١٧ ؛ ١٢ : ٢٣٣ ، ١٢ : ٣٨٧ ـ ٣٨٩ . الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر . . دراسة في سيرته ومنهجه : ٢١ ـ ٢٣ . أمل الآمل ١ : ٦٨ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١١٧ ـ ١١٨ ، ١٢٤ ـ ١٢٦ ، ١٩٢ . بحار الأنوار ٤٨ : ٢٢٧ . البداية والنهاية ١٠ : ٢٦٤ . بغية الراغبين ١ : ١٢ ـ ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٣٥ ، ١٠١ ـ ١١١ ، ١١٣ ـ ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ـ ١٢٧ ، ٤٤٥ ـ ٤٧٠ . تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٤٦٩ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٠١ ـ ٤٠٣ . تعليقة أمل الآمل : ٤٣ ، ٦١ . تكملة أمل الآمل : ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٣٨ ، ١٧٣ ـ ١٧٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ـ ٣٠٦ ، ٣٣٥ ـ ٣٣٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٤١٩ . تنقيح المقال ٤ : ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ . تهذيب الأنساب : ١٥٠ ، ١٥٤ . خاتمة مستدرك وسائل الشيعة ٢ : ١١١ . رجال الطوسي : ٣٥٢ ، رقم (٥٢١٨) . رياض العلماء ٢ : ٣٩٨ ، ٤ : ١٥٥ ـ ١٥٨ ، ٥ : ٢٥٨ . سفينة البحار ٨ : ٣٤٦ ـ ٣٤٧ . شجره طيبه خاندان شهيد صدر (فارسي) : ٧ . الشجرة المباركة : ٩٦ ، ١٠٠ . شرح ديوان المتنبّي ٣ : ٣٧٨ ـ ٣٧٩ . شهداء الفضيلة : ١٦٥ ـ ١٦٦ . طبقات أعلام الشيعة ٢ : ٢٨٣ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ . القرن العاشر : ١٤٧ ـ ١٤٨ . القرن الحادي عشر : ٢٣٧ ، ٣٨٦ . القرن الثاني عشر : ٦ ، ٣٥١ ، ٦٥٢ . عمدة الطالب : ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، ٢١٥ . الفخري : ٩ ـ ١٠ . قاموس الرجال ١ :

٣٠٧. قصص العلماء: ٢٩٩ ـ ٣٠٠. لؤلؤة البحرين: ٤٠ ـ ٤٢. المجدي في الأنساب: ٣١٦. مخطوطة كتاب يعدّه السيّد حسين شرف الدين. مدارك الأحكام ١: ٢٨. المشجّر الوافي ٣: ١٥١، ١٦٤، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٤٣٩ ـ ٤٤٢، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨. معجم البلدان ١: ٢٤٥. مناهل الضرب: ٣٩٣، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٧١، ٤٧٢. منتهى الآمال ٢: ٢٩٣. النفحة العنبريّة: ٦٤، ٧٥.

(٣) أوردنا سيرة السيّد شرف الدين اختصاراً من كتاب: بغية الراغبين ٢: ٦٣ ـ ٣٤٤، وهناك العديد من المصادر التي تناولت سيرته الذاتيّة، وهي تعتمد بشكل رئيس على كتاب «البغية» فآثرنا الاكتفاء بالمصدر الأصل. وانظر مثلاً: مقدّمة كتاب النص والاجتهاد بقلم السيّد محمّد صادق الصدر عضو التمييز الجعفري. مقدّمة المراجعات بقلم الشيخ مرتضى آل ياسين. حياة الإمام شرف الدين في سطور، الشيخ أحمد قبيسي، دار التوجيه الإسلامي، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

(٤) تقريرات آية اللّه المجدّد الشيرازي: ٣٦ ـ ٣٧.

(٥) انظر: كتاب شناسى اجمالى علامه شرف الدين (فارسي)، سيّد مهدى طباطبايى، مجيد غلامى جليسه، ويژه نامه كنگره بين المللى علامه شرف الدين، شماره اول، زمستان ١٣٨٣هـ.ش: ٢٢ ـ ٢٧. بغية الراغبين ٢: ٩٣ ـ ١٠٣.

(٦) الإمام السيّد موسى الصدر.. محطّات تاريخيّة: ١٢٧.